تامير سوريك (*)

لماذا ترك فريق «بيت شان» فريق «بيتار القدس» يفوز؟

[عن التضامن الإثني المستتر والأخلاق الرياضية في إسرائيل]

(*) لفت المذيع التلفزيوني الإسباني نظر مشاهديه بقوله: "لن تصدقوا ما ستشاهدونه الآن". وكان هذا المذيع ينقل أحداث إحدى مباريات كرة القدم في إسرائيل، وهو موضوع لا يشكل محط اهتمام يومي بالنسبة لوسائل الإعلام الدولية. ومع ذلك، كانت هذه المباراة المحددة، التي جرت في يوم ٢ أيار ١٩٩٨ بين فريقيّ هبوعيل بيت شان (بيسان) وبيتار القدس على إستاد كريات إليعازر في حيفا، استثنائية وخارجة عن المألوف بكل ما تحمله الكلمة من معنى. وفي الحقيقة، كانت هذه المباراة من أغرب مباريات كرة القدم التي شوهدت في إسرائيل على الإطلاق.

وقد لخصها عنوان ضخم ظهر على صدر صحيفة "يديعوت أحرونوت" في كلمة واحدة "عار".

فما الذي حدث؟ خلال الدقائق الثماني الأخيرة من عمر المباراة، عندما كانت الأهداف التي سجلها الفريقان متعادلة عند النتيجة ٢- ٢، "تنحى" فريق هبوعيل بيت شان جانبًا وسمح لفريق بيتار القدس بإحراز هدف الفوز في المباراة. وبحسب ما جاء على لسان معلّق صحيفة "يديعوت أحرونوت": "لقد شاهدت مباريات كرة القدم على مدى ٢٥ عامًا، وأنا لا أذكر على الإطلاق أنني رأيت مثل هذا المشهد الغريب والمُحرِج والمخزي مثلما رأيته في الدقائق الثماني الأخيرة على إستاد كريات إليعازر".[١]

احتلت هذه المباراة، التي نُظِّمت في الجولة قبل الأخيرة (الجولة ٢٩ من ٣٠) في موسم العام ١٩٩٧-١٩٩٨ لمباريات كرة القدم، أهمية خاصة. ففي هذه المرحلة، كان فريق بيتار يحتل المركز

* أستاذ في جامعة فلوريدا- الولايات المتحدة. هذا المقال نُشر في أصله الانكليزي تحت العنوان:
«Why did Beit-She›an let Beitar win? Ethnic solidarity, sports ethic,and national ideology,» in: Studies in Contemporary Jewry, Vol. 23, edited by Jonathan Frankel, Peter Medding, Eli Lederhendler, and Ezra Mendelsohn, Oxford University Press, 2009, 128-141.

وقد ساد إجماع تام بين المعلقين الرياضيين في كل صحيفة إسرائيلية: لقد ظهر لاعبو فريق هبوعيل بيت شان في مظهر متقاعس غريب خلال الدقائق الأخيرة من عمر المباراة، وهو ما ترك المجال مفتوحًا أمام فريق بيتار لإحراز قصب السبق فيها وانتزاع بطولة الدوري الإسرائيلي. ولكن ما يثير اهتمام المرء أكثر من ذلك يكمن في وجهة نظر أخرى توافق عليها الجميع: «لا يتعلق الأمر بالتملق من أجل الحصول على المال... إن فريق بيت شان في وضع جيد وهو لا يستجدي المال – فكل شيء يأتيه بالمجان وعلى طبق من ذهب كما لو كان هدية العيد.»٥ وبعبارة أخرى، لم تشكل هذه المباراة قضية فساد عادية

الأول في لائحة الدوري الممتاز، وكان يعني انتصاره في هذه المباراة إحراز بطولة مؤكدة على خصمه، وهو فريق هبوعيل تل أبيب الذي كان يخوض مباراة في الوقت نفسه ضد فريق هبوعيل بيتاح تيكفا. وفي المقابل، كان فريق بيت شان يحتل مركزًا قريبًا من أسفل لائحة الدوري الممتاز، وهو ما يعني أنه كان يواجه خطورة حقيقية بإقصائه عن هذا الدوري إذا ما خسر مباراته أمام فريق بيتار. وفي هذا الخصوص، كانت مباراة ثالثة تدور في يوم ٢ أيارمهمة كذلك، وهي بين فريقيّ هبوعيل بئر السبع وهبوعيل القدس والتي جرت على إستاد تيدي في القدس. وفي حال خسر فريق بئر السبع المباراة، فسوف يتمكن فريق بيت شان من الاحتفاظ بموقعه في الدوري الممتاز حتى لو خسر المباراة أمام فريق بيتار.

كان من المقرر أن تجري هذه المباريات الثلاث في الوقت نفسه، وذلك عند الساعة ٥٫٤٥ مساءً. وفي الدقيقة الأخيرة، تأخر بدء المباراة بين فريقيّ بيتار وبيت شان بتسع دقائق. وقد تبين لاحقًا أن هذا التأخير كان مصيريًا وحاسمًا.

وقد بشّرت بداية المباراة بالخير للفريق الذي كان من المتوقَّع له أن يخسر المباراة. فبعد مرور أربع دقائق على بدء المباراة، وبخلاف كل التوقعات، أحرز فريق بيت شان هدفًا وتصدّر النتيجة بـ١– صفر لصالحه. وفي منتصف الشوط الأول، سَرَت الأخبار بأن فريق بئر السبع كان يجرجر نفسه في مباراته ضد هبوعيل القدس، حيث كان الفريق الأخير يتقدم عليه بهدف للاشيء. وبعد مضيّ ٣٩ دقيقة من عمر المباراة، حصل فريق بيت شان على ركلة جزاء، منحته الفرصة لتعزيز تقدمه وإحراز الهدف الثاني. وعندها ركل إيتان طيب، لاعب الدفاع الموهوب، الكرة ولكنه أرسلها فوق عارضة المرمى. وقد كانت هذه هي ركلة الجزاء الأولى التي فوّتها طيب في خمس سنوات من لعبه في دوري المحترفين. وبعد ذلك بخمس دقائق، أحرز فريق بيتار هدفًا، محققًا التعادل ١– ١.

وفي منتصف الشوط الثاني، سجل فريق بيتار هدفًا آخر، محرزًا التفوق على خصمه بهدفين مقابل هدف واحد. وفي هذه الأثناء، ركزت كاميرات التلفزة التي كانت تصور المباراة على أحد لاعبي فريق بيتار الذي كان يتحدث إلى إيتان طيب. بدا أن لاعب فريق بيتار يقول: "إذا كان الأمر سينتهي في [إستاد] تيدي، فلا أحد [وبعدها بدا الكلام غير مسموع]، حسنًا؟" وقد أومأ طيب برأسه كما لو كان يتفق مع اللاعب الآخر فيما قاله.[٢] ولم يظهر اللاعبان من الفريقين يبذلان ما في وسعهما في اللعب على مدى الدقائق القليلة التالية.

وفي هذه الأثناء، سجل فريق هبوعيل تل أبيب، خصم فريق بيتار، هدفًا، متصدرًا النتيجة بـ١– صفر على فريق بيتاح تيكفا. وقبل نهاية المباراة بين فريقيّ بيتار وبيت شان بعشر دقائق، كانت المباراة بين فريقيّ بئر السبع والقدس قد انتهت بانتصار فريق هبوعيل القدس. وكان الوضع عند هذه النقطة على النحو التالي: كان فريق بيتار بحاجة للاطمئنان إلى تحقيق فوز واضح على فريق بيت شان، وليس مجرد التعادل معه، كي ينتزع البطولة. وفي المقابل، كان موقع فريق بيت شان في الدوري الممتاز مضمونًا بصرف النظر عما إذا ربح المباراة أم خسرها.

ومع انتشار الأخبار التي تناقلت هزيمة فريق بئر السبع، ظهر تبدُّل واضح في مزاج المشجعين على المدرجات. وكما نقل أريك سيغال، وهو صحافي لا يخفي إعجابه وتشجيعه لفريق بيتار، "ففي أثناء الشوط الثاني، شرع مشجعو فريق بيت شان في ترديد أغنية صاخبة. وهم لم يكونوا يغنون لفريقهم، بل كان ينشدون لفريق بيتار. فمنذ اللحظة التي سمعوا فيها أن مباراة بئر السبع انتهت، تخلوا عن مناصرة فريقهم وتشجيعه وتحولوا إلى ترديد

النشيد "أورشليم، أورشليم" [القدس، القدس]" .[٣]

وفي الدقيقة السادسة والثمانين من المباراة، وقع ما لم يكن متوقَّعًا. فقد أحرز ألموغ حازان، اللاعب اليافع في فريق بيت شان، هدفه الأول في أول مباراة احترافية يخوضها، حيث ركل الكرة من مسافة تصل ٢٠ مترًا، محققًا التعادل مع فريق بيتار ومقلصًا النتيجة إلى هدفين لكل من الفريقين. وبذلك، تعرضت بطولة فريق بيتار للخطر. فمن الناحية النظرية، كان من المفترض أن يشعر زملاء حازان من اللاعبين بالسعادة والغبطة – ولكن لم يتوجه سوى عدد قليل منهم نحوه ليهنئوه على تسجيل هذا الهدف. وتلفظ دافيد أمساليم، لاعب الدفاع في فريق بيتار، ببضع كلمات باتجاه حازان: "ولكن لماذا؟ فأنتم لم تهبطوا [إلى الدوري الأدنى]! أنتم لم تهبطوا!" .[٤]

منذ تلك اللحظة وحتى نهاية المباراة، وهي فترة بلغت ثماني دقائق في مجملها، مُنح فريق بيتار ما لا يقل عن ١٢ فرصةً لتسجيل هدف الفوز. وبالفعل، أحرز الفريق هذا الهدف، في نهاية المطاف، خلال الثواني الأخيرة من المباراة. يستذكر المتابعون هذه المباراة بـ "مباراة رباط الحذاء" في تاريخ كرة القدم الإسرائيلية، وذلك في إشارة إلى الصور التي التُقطت لإيتان طيب وهو يربط رباط حذائه عندما كان على وشك ركل ضربة المرمى التي أفضت في النهاية إلى تسجيل هدف الفوز لصالح فريق بيتار. وكان طيب قد ربط حذاءه قبل ذلك بأربع دقائق في سياق هجوم آخر قاده فريق بيتار.

أمسى طيب البطل التراجيدي في هذه المباراة. ففي مقابلة أجرتها معه صحيفة "كول هعير" (وهي صحيفة أسبوعية تصدر في القدس) قبل يوم واحد فقط على المباراة، نُقل عن طيب قوله: إنه كان يحلم طوال حياته بأن يلعب في صفوف فريق بيتار. وفي معرض حديثه عن المباراة المرتقبة بين فريقيّ بئر السبع وهبوعيل القدس، قال طيب إنه "إذا فاز [هبوعيل]، ونحن نعرف أنه سوف يفوز، فإن المباراة ستكون مفتوحة حينئذ، وسوف تكون مباراة مختلفة اختلافًا كليًا". وخلال الأسبوع نفسه، نُقل عن خمسة لاعبين من لاعبي بيت شان قولهم في صحيفة محلية تصدر في حيفا إنهم كانوا يمهدون الطريق أمام بيتار لنيل البطولة.

وقد ساد إجماع تام بين المعلقين الرياضيين في كل صحيفة إسرائيلية: لقد ظهر لاعبو فريق هبوعيل بيت شان في مظهر متقاعس غريب خلال الدقائق الأخيرة من عمر المباراة، وهو ما ترك المجال مفتوحًا أمام فريق بيتار لإحراز قصب السبق فيها وانتزاع بطولة الدوري الإسرائيلي. ولكن ما يثير اهتمام المرء أكثر من ذلك يكمن في وجهة نظر أخرى توافق عليها الجميع: "لا يتعلق الأمر بالتملق من أجل الحصول على المال... إن فريق بيت شان في وضع جيد وهو لا يستجدي المال – فكل شيء يأتيه بالمجان وعلى طبق من ذهب كما لو كان هدية العيد."[٥] وبعبارة أخرى، لم تشكل هذه المباراة قضية فساد عادية (وهي ظاهرة ليست بالغريبة على كرة القدم الإسرائيلية). فلم يدّع أحد أن فريق بيت شان "باع" المباراة. فلماذا، إذن، فعل الفريق ما فعله؟ لقد بدت الإجابة ظاهرة وجلية في نفسها، وهي إجابة ينبغي لكل إسرائيلي يشجع المباريات الرياضية "أن يكون على علم بها" مع أنها لم تُعلن على نحو صريح.

لم تتوانَ الصحف المحلية عن تحديد السبب الذي كان يقف وراء سلوك هذا الفريق، بل بَسَطته بصورة مباشرة وصريحة. ففي هذا السياق، كتبت يهودا نوريئيل، وهو مشجع آخر من جمهور مشجعي فريق بيتار، في صحيفة "عيتون تل أبيب":

كتَبنا في الآونة الأخيرة عن الفارق، الذي يعتبر قاسيًا بعض الشيء ولكنه صحيح في أساسه، بين "الفرق السوداء" والفرق الأشكنازية في الدوري... أصدقاءنا الأعزاء: منذ الدقيقة الستين من عمر المباراة، بدأ مشجعو فريق بيت شان يهتفون لفريق بيتار. لماذا؟ لأنهم من عائلتنا. لأنهم حقًا يريدوننا أن ننجح... عندما تكون اعتبارات الفريق غير مهمة، فسوف يفضّل المشجع الأسود نجاح فريق شقيقٍ على فريق أبيض في جميع الأحوال تقريبًا.

يشير نوريئيل إلى حقيقة ديمغرافية معروفة، وهي أن الغالبية العظمى من مشجعي فريقيّ بيتار وبيت شان كانوا من المزراحيين [اليهود الشرقيين] – أي اليهود الذين ينحدرون في أصولهم من الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. وفي المقابل، كان فريق هبوعيل تل أبيب يُعرف دائمًا بأنه فريق "أشكنازي" على الرغم من أن قاعدة مشجعيه متعددة الأطياف والمشارب.

لم يخرج سوى المعلقين الرياضيين، من أمثال نوريئيل، بالادعاء الذي يقول بأن فريق هبوعيل بيت شان تخلى عن المباراة بسبب التضامن الإثني. ولم يصرح لاعبو الفريق ولا مشجعوه

جمهور "بيتار القدس": تحشيد إثني.

بهذا الادعاء. وحتى أولئك الذين أقروا منهم بأن شيئًا غير عادي حصل في المباراة، فقد فسّروه على أنه تراجع مفاجئ في دافع الفريق بعدما ضمِن مركزه في الدوري الممتاز. وعدا عن ذلك، استشهد هؤلاء بالمخاوف المتعلقة بردة الفعل العنيفة التي قد يقدم عليها مشجعو فريق بيتار إذا ما خسر فريقهم المباراة. ولم يعبّر أحد من هؤلاء بصورة صريحة عن التضامن الإثني الذي عزاه نوريئيل إلى أعضاء فريق هبوعيل بيت شان.

يستوجب جانبان من هذا الحدث المحدد التحليل، أولهما التغطية الواسعة لهذه المباراة وإدانة تصرف فريق بيت شان على نحو أجمعت عليه كافة وسائل الإعلام تقريبًا، وثانيهما الإحجام عن بيان "السبب" الذي يقف وراء نتيجة المباراة إلا بصورة ضمنية، حيث ساد الافتراض بأن تلك النتيجة كانت مسألة من مسائل المعرفة العامة. وفي الواقع، يتناقض ما قام به فريق بيت شان من استعراض التضامن الإثني مع جانبين رئيسين من الجوانب التي حظيت بالإجماع العام حولها، كما سأبين ذلك في ثنايا هذه المقال.

ففي المقام الأول، يتناقض التضامن الإثني، في حد ذاته، مع المعايير الأخلاقية الرياضية التي توجِب على الرياضيين بذل أقصى ما في وسعهم من أجل الفوز في المباريات التي يخوضونها، كما ينبغي أن تحجِب هويتهم بصفتهم لاعبين أية صفات أخرى – سواء أكانت إثنية أم دينية أم عنصرية. ويجب أن تكون هذه الهوية على درجة كافية من القوة لكي تتمكن من إقصاء أي شعور محتمل بالتعاطف مع خصومهم. وفي المقام الثاني، يشكل اليهود أمة واحدة وفقًا للأيديولوجية الصهيونية الكلاسيكية التي تستوجب أن يتخطى الولاء لهذه الأمة أي انتماءات أخرى. ويُنظر إلى تعبير الهوية الإثنية الشرقية المزراحية (مزراحيوت) في أغلب الأحيان على أنها تتصادم مع هذه الأيديولوجية، وعلى أنها غير شرعية لهذا السبب. وبينما يقف المرء في حالات ليست بالقليلة على تعبيرات تشير إلى التضامن المزراحي، ولا سيما في حيز "غير سياسي" كحيز الرياضة والموسيقى، فقد خطا لاعبو فريق بيت شان ومشجعوهم خطوة أبعد من ذلك بكثير عندما أعطوا الأولوية للتضامن الإثني على حساب معايير الأخلاق الرياضية. وقد دفعوا ثمنًا باهظًا نتيجة لذلك، كما سنرى ذلك أدناه.

الوعي السياسي المزراحي في إسرائيل

عقب موجة الهجرة الجماعية التي شهدها العقدان الخامس والسادس من القرن العشرين الماضي، تحولت إسرائيل إلى مجتمع مقسم إلى طبقات إثنية، يتألف معظم أفراد الطبقتين المتوسطة والعليا فيها من اليهود الأشكنازيين. وفي المقابل، احتل اليهود المزراحيون مكانًا متوسطًا بين الأشكنازيين والمواطنين العرب، الذين أُجبروا على الهبوط إلى أسفل الهرم الاجتماعي والاقتصادي.[٦] وعلى الرغم من أن الحدود القائمة بين الأشكنازيين والمزراحيين مشتتة وغامضة على نحو يفوق الحدود التي تفصل بين العرب واليهود، فإن انعدام المساواة بين الجماعات الإثنية اليهودية المختلفة يُعتبر ظاهرة واضحة وجلية. فالفجوة في الدخل بين الأشكنازيين والمزراحيين ملموسة، وهي لا تزال تشهد المزيد من التوسع منذ السبعينيات من القرن الماضي بالنسبة لأبناء الجيل الثاني في هاتين الطائفتين.[٧] ففي العام ١٩٨٨، كان ما نسبته ٢٠٪ من أبناء الطائفة الأشكنازية الذين وُلدوا خارج إسرائيل يتبوّأون مناصب مهنية وإدارية وتقنية، وذلك مقابل ما لا يزيد عن ٦٪ فقط من أبناء الطائفة المزراحية ممن ولدوا في الخارج. وكانت هذه الهوة أوسع في أوساط الأشكنازيين والمزراحيين الذين وُلدوا داخل إسرائيل، حيث بلغت نسبتهم ٥٠٪ و٢٠٪ على التوالي.[٨] ولا تزال الفجوات مشهودة في الوضع المهني بين أبناء هاتين الطائفتين حتى بعد تقليص الاختلافات في التحصيل التعليمي والوضع الاجتماعي والاقتصادي.[٩]

لقد تم توجيه الكثير من المهاجرين المزراحيين في السنوات الأولى التي تلت إقامة دولة إسرائيل إلى المساكن التي أُقيمت في الأحياء الفقيرة في المناطق الحضرية، أو تم إرسالهم إلى "البلدات التطويرية"، بما فيها بلدة بيت شان. وكانت هذه البلدات تقع في معظمها على حدود دولة إسرائيل. ووفقًا لمجموعة من التقديرات المتفاوتة، يعيش ما نسبته ٢٥- ٤٠٪ من السكان المزراحيين في ٢٨ بلدة تطويرية.[١٠] وقد تسببت هذه البلدات، التي كانت تُعتبر بمثابة حجر الزاوية في المشروع القومي الذي يستهدف "تهويد" البلاد، في خلق فضاءات إثنية مزراحية تتعرض للفصل ويعاني سكانها من أوضاع متدنية. ففي دراسة نُشرت في العام ١٩٩٥ حول تصنيف المراكز الحضرية اليهودية الإسرائيلية، التي يبلغ عددها ١١٨ مركزًا مصنفًا بحسب مؤشرات نوعية الحياة، كانت ١٨ بلدة من البلدات الـ٢٠ التي تحتل أدنى مرتبة بلدات تطويرية. وقد أفضت هذه الفجوات إلى تململ وتذمر هؤلاء السكان من المظالم الواقعة عليهم واندلاع احتجاجات عامة، ناهيك عن بروز طائفة إثنية ذات وضع متدن وتتبنى توجهات سياسية متقلبة.[١١] ومنذ مطلع العقد السادس من القرن الماضي، تحولت البلدات التطويرية إلى معقل للمعارضة التي ثارت في وجه حزب العمل الحاكم، الذي كان يُنظر إليه على أنه من يتحمل المسؤولية عن السياسة التمييزية التي تُمارس بحق المزراحيين.

ولكن المظالم الجماعية لم تُترجم إلى وعي سياسي مزراحي فعال وقابل للتطبيق على أرض الواقع،[١٢] حيث يرى بعض الباحثين أن دمج المزراحيين في المشروع الصهيوني بصورة جزئية كان هو السبب وراء غياب هذا الوعي. فعلى سبيل المثال، يبين يهودا شنهاف كيف أن القوى المحركة للهوية الجماعية التي تشكّل اليهود المزراحيين الإسرائيليين تسترشد بالصهيونية من الناحيتين الكولونيالية والقومية. ففي حين أفضى الشق الكولونيالي من الصهيونية إلى النظر إلى المزراحيين على أنهم "الآخر" وأنهم طائفة يهودية منفصلة، يعرّف الجانب القومي من الصهيونية المزراحيين على أنهم جزء من المجتمع اليهودي المتجانس بغية حشدهم وتعبئتهم لصالح مشروع بناء الدولة.[١٣] ومن الجوانب المثيرة للاهتمام في التوتر القائم بين هذين الجانبين من الصهيونية أن الهوية المزراحية تطورت باعتبارها تجربة ذاتية قوية وقوة سياسية حاضرة من جهة. ومن ناحية أخرى، لم يحظ العرض السياسي العام والصريح لهذه الهوية إلا على قدر محدود من الشرعية. ومع ذلك، فقد أنتج التشارك في الأصول والثقافة إضافة إلى التشارك في تقاسم التهميش الاجتماعي والاقتصادي، شعورا ضمنيا بالتضامن بين المزراحيين.[١٤]

وجاءت أكثر المحاولات الجادة التي سعت إلى تشكيل وعي سياسي إثني (وليس دينيا) مستقل في أوساط المزراحيين على يد حركة الفهود السود التي نشأت في مطلع السبعينيات من القرن الماضي وتزعمت الاحتجاجات الإثنية التي أطلقها أبناء الأحياء السكنية الفقيرة في القدس وتل أبيب. ومع أنهم ابتعدوا عن استخدام الخطاب الصهيوني، فقد وضع أتباع حركة الفهود السود أنفسهم خارج إطار الإجماع الشعبي، بحيث جرى نزع الصفة الشرعية عن حركتهم بسهولة. وتمكنت الأحزاب السياسية

خلال السنوات الأولى التي تلت قيام دولة إسرائيل، كان معظم لاعبي كرة القدم في إسرائيل من الأشكنازيين لكونهم يشكلون الأغلبية الساحقة من السكان اليهود الذين كانوا موجودين في فلسطين قبل إقامة الدولة.[٢٢] ولكن تغيّر هذا الوضع مع هجرة اليهود الجماعية من الدول الإسلامية والعربية إلى إسرائيل. فمع نهاية العقد السادس من القرن الماضي، كان ما يقرب من نصف اللاعبين من المزراحيين (الشرقيين)،مع أنهم لم يشكّلوا بعدُ غالبية اللاعبين في الدوري الممتاز أو في المنتخب الوطني الإسرائيلي.

السائدة من استمالة هذه الحركة خلال فترة قصيرة نسبيًا. وجرى، بعد ذلك، تحويل المعارضة السياسية المزراحية إلى صناديق الاقتراع التي برز حزب الليكود اليميني كأكبر فائز فيها.[١٥] وعلى الرغم من أن حزب الليكود لم يعرّف نفسه أبدًا على أنه حركة مزراحية ومع أن المرشحين لمنصب رئيس الوزراء كانوا دائمًا من بين الأشكنازيين، فقد طبق هذا الحزب إستراتيجية استهدفت تشجيع القادة المزراحيين الشباب الذين ينحدرون من البلدات التطويرية واستقطابهم للانضمام إلى صفوفه. (وفي هذا المقام، كان دافيد ليفي، وهو عامل بناء من بلدة بيت شان، أنجح من انضموا إلى هذا الحزب، حيث ترقّى في نهاية المطاف إلى المركز الثاني في قائمته). وفي الانتخابات التي جرت في العام ١٩٨١، حصل حزب الليكود على ما نسبته ٩ر٤٨٪ من أصوات سكان البلدات التطويرية، وذلك بالمقارنة مع ١ر٣٧٪ من أصوات الجمهور الإسرائيلي بمجمله.[١٦] وتبين الدراسات التي تتناول توجهات التصويت منذ مطلع الثمانينيات من القرن الماضي أن القارة التي نشأ فيها الناخب تشكل معيارًا مناسبًا لتوقُّع التصويت لصالح الليكود حتى لو كانت معايير التعليم والعمر والوضع المهني والوضع الاجتماعي والاقتصادي ومستوى التدين تحظى بالتنظيم.[١٧]

ومن الأهمية أن نلاحظ أنه بينما كان التصويت لحزب الليكود يمثل شكلاً من أشكال المعارضة الثقافية والاجتماعية على مدى فترة طويلة من الزمن، فإن هذا التصويت لم يعبّر عن الأيديولوجية القومية أو النشاط السياسي المزراحي الصريح.[١٨] ففي هذا الخصوص، يمثل حزب شاس – وهو حزب ديني مزراحي حريدي (متزمت) أُسس في العام ١٩٨٤ – الاستثناء الصارخ للطابع غير السياسي الذي وَسَم النشاط المزراحي. فمنذ العام ١٩٩٢، لم يفتأ حزب شاس يحصل على ما نسبته ٨ – ١٤٪ من الأصوات في الانتخابات البرلمانية، وهو يلقى التأييد من الناخبين المزراحيين من أبناء الطبقة الدنيا (الذين يُعتبر الكثير منهم تقليديين في توجهاتهم الدينية، مع أنهم لا يتقيدون بالتعاليم الدينية بحذافيرها). ومع ذلك، تجعل هذه الطبيعة الدينية الواضحة من الحزب خيارًا لا يستقطب الكثير من الناخبين المزراحيين الذين يحملون وجهة علمانية أكثر من غيرهم.[١٩]

المزراحيون ولعبة كرة القدم

فيما عدا حزب شاس، يظهر تضامن المزراحيين في السياسة إما بصورة ضمنية (من خلال التصويت الجماعي لأحزاب المعارضة، مثلاً، وإن كان ذلك يستثني الأحزاب التي تعتمد أجندة مزراحية) أو بصورة هامشية (كالأجندة المزراحية الصريحة التي تروجها الجماعات الصغيرة التي تملك قدرًا محدودًا من القوة). ولكن هذا التضامن كان يحظى بدرجة أكبر من الصفة "الشرعية" في الفضاءات غير السياسية، حيث تتسم الجوانب المختلفة من الثقافة الإسرائيلية الشعبية بقدر أكبر من الانفتاح وتتقبل تعبير "مزراحيوت". وتُعتبر الموسيقى من الأمثلة البارزة على هذه الحالة. فبحسب ما جاء على لسان الباحث موطي ريغف، أضحت هذه الموسيقى بحلول العقد التاسع من القرن الماضي تمثل "الشكل الثقافي الذي يرتبط بالمزراحيين بصورة لا لبس فيها"، وذلك بسبب "صورتها الثابتة التي مكّنتها من استقطاب العامة وتشكيل الموسيقى الشعبية لليهود الشرقيين".[٢٠] وقد تمثل كرة القدم ثاني أكثر الجوانب التي تنكشف فيها هوية المزراحيين – وإن كانت تقلّ في شعبيتها وعموميتها عن الموسيقى لأن النساء لا يشاركن فيها في معظم الحالات.[٢١]

خلال السنوات الأولى التي تلت قيام دولة إسرائيل، كان معظم

كما وُلد فريق بيتار من رحم منظمة شبيبة الصهيونيين التصحيحيين التي أسسها زئيف جابوتنسكي في العام ١٩٢٣ وارتبطت في مرحلة لاحقة بحزب حيروت (الذي تحول بعد ذلك إلى حزب الليكود). وأنشأ فرع القدس التابع لحركة بيتار فريق بيتار القدس في العام ١٩٣٦. وفي الأربعينيات من القرن الماضي، انضم معظم لاعبي هذه الفرق إلى عضوية منظمة الإرغون أو منظمة ليحي، وهو ما دفع بالسلطات البريطانية إلى طرد بعضهم من فلسطين. وفي الوقت الذي كان فيه هبوعيل القدس يمثل فريق المؤسسة، استقطب فريق بيتار جميع الدخلاء والمضطهدين والضحايا.

لاعبي كرة القدم في إسرائيل من الأشكنازيين لكونهم يشكلون الأغلبية الساحقة من السكان اليهود الذين كانوا موجودين في فلسطين قبل إقامة الدولة.[٢٢] ولكن تغيّر هذا الوضع مع هجرة اليهود الجماعية من الدول الإسلامية والعربية إلى إسرائيل. فمع نهاية العقد السادس من القرن الماضي، كان ما يقرب من نصف اللاعبين من المزراحيين (الشرقيين)،[٢٣] مع أنهم لم يشكّلوا بعدُ غالبية اللاعبين في الدوري الممتاز أو في المنتخب الوطني الإسرائيلي.

ومع مرور الوقت، أصبح أبناء الطبقة العاملة المزراحية يهيمنون على ملاعب كرة القدم في التجمعات السكانية اليهودية. وتظهر هذه الطبقة والطابع الإثني الذي وَسم كرة القدم الإسرائيلية في تلك الحقبة جليةً في دعم السلطات البلدية لمنتخباتها المحلية.[٢٤] وفي تحليل أعددتُه في العام ١٩٩٨، وجدتُ علاقة طردية إيجابية ودالّة من الناحية الإحصائية (بلغت نسبتها ٥٨ر٠) بين الدعم المالي لفرق كرة القدم والحصة النسبية لسكان البلدة أو المدينة التي كان سكانها ينحدرون في أصولهم من قارة آسيا أو قارة إفريقيا. وعلى نحو مماثل، وقفتُ على علاقة طردية سلبية ودالة إحصائيًا (- ٦٥ر٠) بين الدعم الذي تقدمه السلطات البلدية لنوادي كرة القدم والحصة النسبية للسكان الذين ينحدرون في أصولهم من قارة أوروبا أو قارة أميركا. وبذلك، يبدو أن لعبة كرة القدم هي أكثر لعبة شائعة في البلدات التي يشكل المزراحيون أغلبية سكانها.

تُعتبر المغالاة في تمثيل الجماعات الإثنية المهمَّشة من الناحيتين الاقتصادية والسياسية في الرياضات السائدة ظاهرة شائعة.[٢٥] فعدا عن تأمين مسار يُفضي إلى تحقيق النمو الاقتصادي، قد يلعب النجاح في هذه الرياضات دورًا لا تخفى أهميته في ترسيخ احترام الذات والاعتزاز الإثني. ومن الجدير بالذكر أن موشيه كاريف، أحد مؤسسي ائتلاف القوس الديمقراطي المزراحي (هكيشيت هديموكراتيت همزراحيت)،[٢٦] اختار الشروع في تأليف كتابه حول هذا الائتلاف بقصة تتعلق بالانتصار المفاجئ الذي أحرزه مكابي يافا (الذي ينحدر معظم مشجعيه من أصول سفارادية بلغارية) على فريق مكابي تل أبيب "الغني" في موسم العام ١٩٧٦-١٩٧٧. ويقول كاريف في كتابه إن إحساسًا غمره بالنشاط عند ركل الكرة التي سجلت هدف الفوز، وهو إحساس يوحي بأنه بات "من الممكن إحراز ذلك الهدف من دون الحاجة إلى وجود إستاد بيتي ومن دون الحاجة إلى توفر الموارد في مواجهة أصحاب الوجوه العابسة والغرور اللامتناهي. فقد رأيت عن قرب أنه كان من الممكن هزيمة النظام. وهنا كان الإثبات: ألبرت ليفي [اللاعب الذي أحرز الهدف]".[٢٧]

كما شكّل العقد السابع من القرن الماضي، الذي شهد النشاط المزراحي اضطرابات فيه، فترةً برزت فيها فرق كرة القدم الإسرائيلية التي أحرزت قدرًا كبيرًا من النجاح واكتسبت قاعدة جماهيرية تألفت في معظمها من المشجعين المزراحيين. وبات الشباب المزراحيون، الذي ينحدرون من الطبقة العاملة، يشكلون وبصورة تدريجية مجموعة بارزة بين اللاعبين. وكان الكثير من هؤلاء الشباب يرون في كرة القدم "انعطافة في مسيرتهم التعليمية" وقناة بديلة لحراكهم، وذلك على الرغم من أن الدراسة المنهجية لهذا الدافع أثبتت أن هذا الأمل كان يتخلله الوهم في معظم الحالات.[٢٨] وفي وقت مبكر يعود إلى العام ١٩٦٨، كان فريق بني يهودا، وهو فريق يمثل حي هتيكفا السكني الفقير (الذي يشكل المزراحيون غالبية سكانه) في جنوب تل أبيب، أول فريق "مزراحي" يفوز بكأس دولة إسرائيل. وكانت البطولتان اللتان نالهما فريق هبوعيل بئر السبع علامتين فارقتين أخريين وسمتا المسيرة الرياضية التي خاضها أبناء المزراحيين.

فرق هبوعيل: الوجه الرياضي للنخبة الأشكنازية.

وقد خضع فريق هبوعيل بئر السبع، الذي يعود معظم لاعبيه في أصولهم إلى أوروبا الشرقية، لتحوّل تدريجي خلال الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي، بحيث تحول إلى فريق يتألف في تشكيلته من لاعبين مزراحيين بالكامل. وترافق التغيير الذي طرأ على هؤلاء اللاعبين مع تغيير في صورة فريقهم، التي جرى التعبير بصورة بليغة عنها عندما هزم هذا الفريق فريق هبوعيل الرملة بتسعة أهداف من دون مقابل في الموسم الرياضي ١٩٦٢- ١٩٦٣. وقد اعتبر مشجعو فريق هبوعيل الرملة أن هذه النتيجة تمثل عملاً من أعمال الخيانة الإثنية. وبعد هذه المباراة بسنوات، أشارت مقالة نشرت في صحيفة "معاريف" إلى أنه حتى مشجعي فريق بئر السبع كانوا على قناعة بأن المباريات التي جرت بين "الفريقين الشقيقين" في السنوات الماضية كانت تعكس عقلية "حك ظهري لأحك لك ظهرك" بين اللاعبين الذي ترعرعوا سوية في شمال إفريقيا.[٢٩]

كان الفريق المزراحي "الرائد" في أوساط فرق كرة القدم هو فريق بيتار القدس – وهذه حقيقة لا تُعد مفاجئة بالنظر إلى العلاقة الحميمة التي تجمع بين الحركة الرياضية والسياسة في إسرائيل. فحتى قبل إقامة الدولة، كانت الرياضة الإسرائيلية تسير على خطى الدوائر السياسية، حيث كانت فرق المكابي تشكل جزءًا من التيار غير الاشتراكي في الصهيونية. أما فرق هبوعيل فكانت جزءًا من الهستدروت (الاتحاد العام لنقابات العمال) الذي كان حزب مباي (الذي تحوّل فيما بعد إلى حزب العمل) يسيطر عليه. وقد قاد هذا الحزب البلاد حتى العام ١٩٧٧. كما وُلد فريق بيتار من رحم منظمة شبيبة الصهيونيين التصحيحيين التي أسسها زئيف جابوتنسكي في العام ١٩٢٣ وارتبطت في مرحلة لاحقة بحزب حيروت (الذي تحول بعد ذلك إلى حزب الليكود). وأنشأ فرع القدس التابع لحركة بيتار فريق بيتار القدس في العام ١٩٣٦. وفي الأربعينيات من القرن الماضي، انضم معظم لاعبي هذه الفرق إلى عضوية منظمة الإرغون أو منظمة ليحي، وهو ما دفع بالسلطات البريطانية إلى طرد بعضهم من فلسطين. وفي الوقت الذي كان فيه هبوعيل القدس يمثل فريق المؤسسة، استقطب فريق بيتار جميع الدخلاء والمضطهدين والضحايا. وتطورت دائرة مشجعي هذا الفريق إلى نوع من المعارضة السياسية. وليس من باب المصادفة أن شعارهم الذي تبنّوه على مدى تلك السنوات، وهو "إيفيل بهيستدروت" ("الحداد في الهستدروت") لم يكن يشير إلى

لم يكن يُطلب من معظم المشجعين الذين ينحدرون من هذه البلدات التطويرية، في الماضي، الاختيار بين ولائهم لفريقهم المحلي وحبهم لفريق بيتار، لأن الفرق الخارجية نادرًا ما كانت ترتقي إلى الدوري الممتاز. ومع ذلك، فقد كان فريق من هذه الفرق الخارجية يحرز نجاحًا مؤقتًا يلقى رواجًا في وسائل الإعلام (التي تنجذب دائمًا لقصص النجاح التي يسطّرها أصحابها من نقطة الصفر ويصعدون بها إلى القمة). فعلى سبيل المثال، لعب فريق هبوعيل يهود في الدوري الممتاز من العام ١٩٧٦ حتى العام ١٩٨٧ حتى فاز بكأس الدولة في العام ١٩٨٢. وبين العامين ١٩٨٢ و١٩٨٧، مثّل فريق مكابي يفنيه بلدة يفنيه في الدوري الممتاز. وفي العام ١٩٩٤، حانت فرصة فريق بيت شان في تمثيل بلدته بيت شان.[٣٣]

الفريق، بل إلى الهوية السياسية لخصوم فريق بيتار الرئيسيين.

يرتبط تحول فريق بيتار من نادٍ محلي إلى فريق له أتباعه الوطنيون بالعلاقة الوثيقة التي جمعت بين الفريق وزعماء حزب الليكود وبروز الإنجازات الرئيسة الأولى التي حققها الفريق (الفوز بكأس الدولة في جولة المباريات في العامين ١٩٧٦ و١٩٧٩) جنبًا إلى جنب مع الاضطرابات السياسية التي دفعت بحزب الليكود إلى سدة الحكم في العام ١٩٧٧. وفي الواقع، أسهم الائتلاف الديمغرافي الذي مكّن حزب الليكود من الانتصار في تنامي قاعدة مشجعي فريق بيتار.[٣٠] فخلال العقد الثامن من القرن الماضي، تبلورت العلاقة الثلاثية التي كانت تجمع بين حزب الليكود والمزراحيين وفريق بيتار، حيث أضحى الفريق يحظى بقاعدة شعبية كبيرة بين صفوف من صوتوا لحزب الليكود إلى درجة أن الدعاية التلفزيونية التي أطلقها حزب العمل في مستهل انتخابات العام ١٩٨٤ عرضت ممثلين مشهورين يؤدون دور مشجعي فريق بيتار المزراحي الذي أعلن أن اختيار حزب الليكود في المرة السابقة كان خطأ. وكانت الرسالة التي بعثت بها هذه الدعاية تفيد بأن المرء قد يكون من مشجعي فريق بيتار، وإلا فعليه التصويت لصالح حزب العمل.

لقد جعلت النجاحات التي سجلها فريق بيتار خلال العقدين الثامن والتاسع من القرن الماضي (والتي تمثلت في الفوز بثلاث بطولات وبكأس الدولة ثلاث مرات) منه فريقًا محبوبًا في أوساط دوائر أوسع من المشجعين، بمن فيهم الكثير من الأشكنازيين وحتى المواطنين العرب. غير أن الفريق حافظ على شعبيته فيما اصطُلح على تسميته في مرة من المرات "إسرائيل الثانية" بين صفوف المزراحيين في البلدات التطويرية على نحو خاص. وفي استطلاع أجراه اتحاد إسرائيل لكرة القدم في العام ١٩٩٧، صرح ما نسبته ٤٦٪ من سكان البلدات التطويرية بأنهم يشجعون فريق بيتار.[٣١] كما صرح ألموغ حازان، اللاعب الشاب الذي كاد هدفه أن يحرم فريق بيتار من البطولة، لوسائل الإعلام بأنه شعر بالأسف لبيتار بعدما سجل الهدف، ولكنه كان يخشى في الوقت ذاته من الآلاف من مشجعي بيتار الذين حاولوا اقتحام أرض الملعب. وقد ردّ أريك سيغال، الصحافي الذي يعمل في صحيفة "عيتون تل أبيب"، على ذلك بقوله:

> هذه كذبة. لقد كنت هناك [. . .] فقد اقتحمت الجماهير أرض الملعب بعد الهدف [الذي أحرزه فريق بيتار]. وما لم يصرح السيد حازان به للصحافة هو أنه كان خائفًا أيضًا من ردة فعل جيرانه في بيت شان في المركز التجاري صباح يوم الأحد. لم يكن لأي شخص في البلدة التطويرية أن يسامحه فيما لو وَأَد بطولة فريق بيتار.[٣٢]

لم يكن يُطلب من معظم المشجعين الذين ينحدرون من هذه البلدات التطويرية، في الماضي، الاختيار بين ولائهم لفريقهم المحلي وحبهم لفريق بيتار، لأن الفرق الخارجية نادرًا ما كانت ترتقي إلى الدوري الممتاز. ومع ذلك، فقد كان فريق من هذه الفرق الخارجية يحرز نجاحًا مؤقتًا يلقى رواجًا في وسائل الإعلام (التي تنجذب دائمًا لقصص النجاح التي يسطّرها أصحابها من نقطة الصفر ويصعدون بها إلى القمة). فعلى سبيل المثال، لعب فريق هبوعيل يهود في الدوري الممتاز من العام ١٩٧٦ حتى العام ١٩٨٧ حتى فاز بكأس الدولة في العام ١٩٨٢. وبين العامين ١٩٨٢ و١٩٨٧، مثّل فريق مكابي يفنيه بلدة يفنيه في الدوري الممتاز. وفي العام ١٩٩٤، حانت فرصة فريق بيت شان في تمثيل بلدته بيت شان.[٣٣]

تحول فريق هبوعيل بيت شان، الذي يمثل أصغر وأفقر بلدة

وصرح ساغي كوهين، وهو أحد كبار المعلقين الرياضيين، أن كرة القدم على ما هي عليه في إسرائيل هي لعبة «تخلو من الاحترام الحقيقي لفكرة التنافس. فهي تقوم على أساس فهم مشوَّه لمعنى الإنجاز، وهذا عار على كل شيء يفترض بالرياضة أن تجسده». وعلى وجه التحديد، أشار هذا المعلق إلى حق جمهور المشجعين في التساؤل عما رآه لاعبو فريق بيت شان عندما نظروا في المرآة في صباح اليوم الذي خاضوا فيه تلك المباراة. وهنا يقول كوهين: «إن أمرًا واحدًا يبدو مؤكدًا، وهو أنهم لم يروا رياضيين».

من بين البلدات التي شاركت فرقها في الدوري الممتاز، إلى ناجٍ مشاكس. فقد احتفظ بموقعه في الدوري الممتاز (وبصعوبة في أحيان كثيرة) خلال المواسم الأربعة التالية، بل إنه كسب المزيد من القاعدة الشعبية بعدما شارك أعضاؤه في بطولة ما أصبح فيما بعد فيلمًا إسرائيليًا كلاسيكيًا، وهو عبارة عن فيلم وثائقي بعنوان "بيت شان: فيلم حربي" (١٩٩٦)، الذي أخرجه دورون تسوبيري ورينو تسرور. وتحول هذا الفيلم الذي تتبّع مسيرة الفريق في الموسم الكروي ١٩٩٤- ١٩٩٥ إلى دراما مثالية: ففي الجولة الأخيرة، التي نُظمت على إستاد كريات إليعازر، كان يتعين على فريق بيت شان أن يهزم البطل الوطني ذا الإرث الغني، مكابي حيفا، لكي يضمن بقاءه في الدوري. وبعد أن تعرض لنكسات في بداية المباراة وكانت النتيجة ٢- صفر لصالح مكابي حيفا، حقق فريق بيت شان ما لا يصدَّق وحسم المباراة بفوزه على خصمه بثلاثة أهداف مقابل هدفين. وبعد هذا الموسم، أصبح فريق بيت شان الفريق المحبوب الثاني بالنسبة للكثير من مشجعي لعبة كرة القدم. ولكن بعد ذلك بسنتين وعلى الإستاد نفسه، اختار أعضاء الفريق أن يقدموا الانتماء الإثني على عنصر جوهري من معايير الأخلاق الرياضية، وهو ما كلفهم شعبيتهم وحب جمهورهم.

التضامن الإثني في الرياضة

تشكّل الرياضة الحديثة تمثيلاً قويًا للحداثة في كلا الخطابين الشعبي والأكاديمي. ويرى الباحثون الوظيفيون في الرياضة بديلاً حديثًا للبؤر التقليدية التي كان التضامن يرتكز عليها، كالدين والأسرة والنقابات.[٣٤] وبناءً على وجهة نظر ماكس فيبر (Max Weber)، يعتبر ألان غوتمان (Allan Guttman) الرياضة انعكاسًا للواقع الصناعي الحديث والعالم العلمي.[٣٥] وعلى هذا المنوال، يدّعي أشوورث (C. E. Ashworth) بأن الرياضة تستعرض اختبارًا شبه عملي تتعطل فيه جميع الاختلافات والفروقات بين الرياضيين، باستثناء الموهبة الرياضية التي تنجلي القدرة "الحقيقية" فيها.[٣٦] وفي معرض إشارته إلى لعبة كرة القدم على وجه التحديد، يطرح كريستيان برومبرغر (Christian Bromberger) فرضية يقول فيها: إن اللعبة توفر تمثيلاً دراميًا للقيم الأساسية التي تَسِم المجتمع الحديث. وفي هذا الإطار، تجسد كرة القدم في تركيزها على الموهبة والأداء والمنافسة مفهوم "الوضع الذي يتم إنجازه" في أكثر الأساليب دراميةً (وذلك على خلاف "الوضع الذي يجري عَزْوُه [للآخرين]"). وهذا المفهوم هو أحد التجليات البارزة من تجليات الحداثة.[٣٧]

وفي هذا السياق، عندما يتحدى أي فرد أو فريق هذه الروح "العلمية" باختيار الخسارة في لعبة بدافع الإحساس بالتعاطف مع الخصم، فسوف يكون مثل هذا السلوك موضع إدانة واسعة باعتباره سلوكًا "يخالف الأخلاق الرياضية" - وهذا في حد ذاته اتهام خطير جدًا. فالناس يتذكرون المباريات التي غَلَب فيها التعاطف الإثني على التنافس ويدينونها ويشجبونها. ومن الشواهد على ذلك ما حصل في دوري كأس العالم لكرة القدم في سنة ١٩٨٢، عندما لعبت ألمانيا الغربية ضد النمسا في المباراة الأخيرة من الجولة الأولى. وكان كلا الفريقين على علم بأن فوز منتخب ألمانيا الغربية بـ١- صفر سوف يتيح الفرصة أمام المنتخبين، اللذين يتحدثان الألمانية، للتأهل إلى الجولة التالية (في الوقت ذاته الذي يتم فيه استبعاد المنتخب الجزائري وإعادته إلى بلاده). وسجل المنتخب الألماني الغربي هدفًا بعد عشر دقائق من بدء المباراة. وبعد ذلك، تراجع أداء المنتخبين ولم يبذل اللاعبون ما في وسعهم لإحراز أهداف أخرى على مدى الدقائق الـ٨٠ المتبقية

من المباراة. وأطلق المشجعون الذين شعروا بالغصّة والمرارة من هذه المباراة اسم "لعبة الاتحاد" ("Anschluss Game") عليها [وذلك في إشارة إلى الاتحاد السياسي (Anschluss) الذي نشأ بين ألمانيا النازية والنمسا في العام ١٩٣٨]. ولا تزال هذه المباراة تعتبر إحدى أكثر المباريات المخزية في تاريخ كأس العالم لكرة القدم.

وفي سياق مشابه، لخص المعلق الرياضي إيال ليفي في صحيفة "معاريف" مباراة بيت شان- بيتار على أنها تمثل "يومًا حزينًا لكرة القدم. فلا يجوز لأي شخص أن يقول إنها كانت رياضة، لأنها لم تكن كذلك."[٣٨] وصرح ساغي كوهين، وهو أحد كبار المعلقين الرياضيين، أن كرة القدم على ما هي عليه في إسرائيل هي لعبة "تخلو من الاحترام الحقيقي لفكرة التنافس. فهي تقوم على أساس فهم مشوَّه لمعنى الإنجاز، وهذا عار على كل شيء يفترض بالرياضة أن تجسده". وعلى وجه التحديد، أشار هذا المعلق إلى حق جمهور المشجعين في التساؤل عما رآه لاعبو فريق بيت شان عندما نظروا في المرآة في صباح اليوم الذي خاضوا فيه تلك المباراة. وهنا يقول كوهين: "إن أمرًا واحدًا يبدو مؤكدًا، وهو أنهم لم يروا رياضيين".[٣٩]

لم يكن ساغي كوهين الوحيد الذي وضع يده على "مشكلة ثقافية" في هذا المضمار، عندما لمّح إلى أن مباريات كرة القدم على النحو الذي تُؤدى به في إسرائيل (في إشارة ضمنية إلى المجتمع الإسرائيلي بعمومه كذلك) تشكّل نكسةً وتخلفًا. فأمير إفرات، الكاتب الرياضي في صحيفة "يديعوت أحرونوت"، يستذكر المباريات التي نُظِّمت في الدوري الإنكليزي، حيث يحارب لاعبو الفريقين المشاركين كما لو كانوا أُسودًا حتى لو كانت نتيجة المباراة لا تنطوي على أية أهمية على الإطلاق. وفي هذا السياق، يقول إفرات بأنه "إذا كان للأخبار التي تَرِدُنا من إنكلترا أن تعلمنا شيئًا، فهو حقيقة أن مكانك مضمون ليس هو بالأمر المهم في أوساط اللاعبين. فلم يتصرف لاعبو فريق بيت شان بصفتهم لاعبين يوم أمس. وهذا ما يستوجب إخضاعهم للمساءلة والمحاسبة عن أدائهم."[٤٠] وكتب معلق آخر، وهو أفيعاد فوهورليس في عدد صحيفة "يديعوت أحرونوت" الذي صدر في ذلك اليوم: "لقد كان يوم أمس مصيبةً بالنسبة لي. فمن وجهة نظري، وصلت لعبة كرة القدم في إسرائيل إلى نهايتها. لقد دفنتُها كما لو كنت أدفن كلبًا، بل إني أعتبرها ميتة بالكامل".[٤١]

ينحدر فوهورليس وإفرات من طائفة الأشكنازيين، وهما من مشجعي فريق هبوعيل تل أبيب المنافس الذي دفع الثمن بسبب التحالف الذي قام بين المزراحيين الذين يقطنون في البلدة التطويرية وفريق بيتار. ومما لا يبعث على الدهشة أن مباراة "رباط الحذاء" أثارت ردود أفعال غاضبة في أوساط مشجعي فريق هبوعيل تل أبيب، الذين يصنفون فريق هبوعيل بيت شان على أنه العدو اللدود الأول لهم. ويشير هؤلاء على وجه الخصوص إلى إيتان طيب الذي اقترف سلوكًا مخزيًا في هذه المباراة. ولا يزال بعض هؤلاء المشجعين يتذكرون يوم ٢ أيار ١٩٩٨ باعتباره يومًا مخزيًا وشائنًا. وفي هذا السياق، عرض قرص مضغوط (CD) أنتجه ووزعه مشجعون من جمهور فريق هبوعيل تل أبيب في العام ٢٠٠٠ أغاني اشتملت على كلمات جد عنيفة وتضمنت تهديدات صريحة بقتل طيب. وقد أفصح طيب، عندما سئل عن ردة فعله تجاه هذه التهديدات، عن أن كراهيته لفريق هبوعيل تل أبيب تضرب في جذورها إلى تاريخ طويل:

أريد أن أوضح أمرًا. لقد كرهتُ فريق هبوعيل تل أبيب قبل فترة طويلة من ذلك الحدث. إنني أكرههم منذ أن امتلكت القدرة على التذكر... وسوف يثبت أي استطلاع للرأي في هذا البلد أنني على حق، وأن هذا الفريق هو الفريق المكروه أكثر من غيره هنا. إنه يوالي تيار اليسار في سياسته – فقد عُرف عن فريق هبوعيل تل أبيب أنه "رائد الهستدروت وحزب العمل" منذ اليوم الأول الذي أُسس فيه.[٤٢]

لقد كان طيب، الذي وُلد وترعرع في بيت شان، يعبّر عن المرارة التي شاركه فيها الكثير من أبناء البلدات التطويرية. وكما رأينا أعلاه، ينحي الكثير من المزراحيين باللائمة على سياسات حزب العمل بسبب ما يشهده المجتمع الإسرائيلي من تقسيم طبقي إثني. وفي ميدان كرة القدم، جعل هذا السخط من فريق هبوعيل تل أبيب فريقًا غير محبوب، ولا سيما في البلدات التطويرية وبين صفوف المزراحيين بصفة عامة.

فعلى سبيل المثال، أُجريت مقابلة مع مشجع من مشجعي فريق آخر يغلب المزراحيون في تشكيلته (وهو فريق بني يهودا) في صحيفة "عيتون تل أبيب" عقب المواجهات العنيفة التي اندلعت بين جمهور بني يهودا وجمهور هبوعيل تل أبيب، حيث وصف

فريق هبوعيل تل أبيب على النحو التالي:

> لا يمكن تحمُّل مشجعي هبوعيل. إنهم دائمًا يشكلون النخبة، وهم متأنقون و"أوروبيون" حقيقيون. إنهم يملكون هذه النظرة المتعالية. وهم يقولون لك في وجهك أن طريقتهم هي الطريقة الصحيحة... أن اللون الأبيض هو اللون الجميل. هم من اليسار ونحن من اليمين، هم أغنياء ونحن فقراء، هم ناجحون ونحن فاشلون، هم وسيمون ونحن بشعون.[٤٣]

وفيما بدا أنه يؤكد على الأساس الإثني الذي تقوم عليه العداوة لـ"المتأنقين"، ردّ هذا المشجع نفسه عندما سئل عما إذا كان سيلقي الحجارة على مشجعي بيتار القدس، وعلى نحو لا يكاد يصدق: "هل جننت؟ بيتار هو شقيقنا الأكبر – أنت لا تضرب أفراد عائلتك". وعلى الرغم من أن هذا التصريح الأخير ثبت خطؤه بعدما اندلعت الصدامات العنيفة بين "الشقيقين"، فإن هذا الخطاب يحمل أهمية في مضمونه. فلا يملك فريق هبوعيل تل أبيب أية فرصة لكي يُنظر إليه على أنه "شقيق" فريق بني يهودا أو فريق بيتار القدس. وفي مباراة "رباط الحذاء"، فاقت هذه التفضيلات التي تقوم على أساس إثني- سياسي على معايير الأخلاق الرياضية في أولويتها، ووضعت علامة استفهام على الصفة الشرعية التي يتحلى بها طيب على وجه الخصوص وفريق بيت شان برمّته.

هناك بعد آخر للغضب الذي تولّد تجاه فريق بيت شان. فالخطاب الحداثي نفسه الذي يوفر الأسس الفلسفية للرياضة الحديثة يتعامل كذلك مع ظهور دولة الشعب والمجتمعات القومية الحديثة. وفي هذا السياق، تعتبر الهويات الإثنية القومية الفرعية بمثابة بقايا الماضي ما قبل الحداثي الذي سيتحلل بالتدريج في سياق العملية الحداثية.[٤٤] وفي إسرائيل، يعتبر الخطاب المهيمن أن الهوية المزراحية هوية "إثنية". وفي دراسة أجراها إليعازر بن رفائيل وستيفن شاروت في أواخر العقد الثامن من القرن الماضي، مثلاً، ظهر الأشكنازيون الإسرائيليون على أنهم يميلون إلى تعريف "المزراحيم" ضمن معطيات إثنية وأنهم يسلّمون بأن ثقافتهم هي الثقافة الإسرائيلية. وفضلاً عن ذلك، أبدى هؤلاء توقعهم بأن "تطرأ الحداثة على" الطوائف "الإثنية" التي تنحدر من منطقة الشرق الأوسط من خلال تبنّي ما يرون أنه يمثل ثقافتهم الأصيلة "غير الإثنية".[٥٤] وبعبارة أخرى، إن "حداثة" دولة الشعب هي ما ينزع الصفة الشرعية عن التعبيرات السياسية التي تشير إلى الهوية الإثنية.

وبموجب هذه النظرة، تُعتبر الرياضة في حالات كثيرة وسيلةً لتخطي الاختلافات الإثنية ولبلورة مجتمع قومي متجانس. ومع ذلك، فإن تصرف فريق هبوعيل بيت شان لم يرفض معايير الأخلاق الرياضية فحسب، بل إنه أثبت القوة الكامنة التي تَسِم الانقسامات الإثنية داخل المجتمع الإسرائيلي. ولم يكن هذا التذكير موضع ترحيب لأنه كان يتناقض مع الأيديولوجية الصهيونية ويُنظر إليه على أنه تهديد للصورة الذاتية "الحديثة" لإسرائيل.

وليس من باب المصادفة أن أولئك المعلقين الذين فسّروا مباراة "رباط الحذاء" على أنها تعبير عن التضامن الإثني كانوا هم أنفسهم متوحدين مع هوية سياسية مزراحية صريحة. فيهودا نوريئيل، الذي ميز بين الفرق "السوداء" وفرق الأشكنازيين، هو واحد من هؤلاء. وعلى نحو مماثل، ذكر موشيه كاريف، أحد مؤسسي ائتلاف القوس الديمقراطي المزراحي، "التعاطف غير المستتر مع فريق بيتار القدس في أوساط لاعبي فريق بيت شان".[٤٦] ومما يثير اهتمام المرء أنه بعد ثلاث سنوات مضت على تلك المباراة، اعترف طيب أنه هو ولاعبون آخرون من فريق بيت شان أحجموا عن بذل جهودهم في المباراة بعد أن تقلصت النتيجة وتعادل الفريقان. وقد أنحى طيب باللائمة على مدير الفريق، أفي ليفي، الذي أصدر تعليماته للاعبين بالتراجع في أدائهم، ولكنه لم يذكر السبب الذي كان يقف وراء هذا التصرف.[٤٧]

الخاتمة

على الرغم من أن الهوية الإثنية المزراحية تنطوي على دلالات لا يمكن إغفالها في السياسة الإسرائيلية، إلا أنها نادرًا ما تُترجم إلى نشاط سياسي صريح وواسع النطاق. وبدلاً من ذلك، لم يزل الشعور بالتضامن المزراحي كامنًا في الحيز السياسي أو أنه اكتسب أهمية في ميدان الثقافة الشعبية، الذي تُعتبر لعبة كرة القدم من أهم تجلياته. ومن الناحية النظرية، لا ينسجم التضامن الإثني مع الأيديولوجية الصهيونية والبنية التحتية الفلسفية الأساسية للرياضة الحديثة. وطالما كانت تجليات الهوية الإثنية المزراحية محصورة في تأييد المشجعين لفرق من قبيل فريق بيتار القدس، فهي تحظى

بتسامح واسع النطاق من جانب الجمهور العام. ومع ذلك، فحالما أثبت هذا التعاطف أنه يفوق في قوته وسطوته روح المنافسة التي تعتبر عنصرًا جوهريًا في الأخلاق الرياضية، فقد جرى اعتباره على أنه جريمة خطيرة.

بعد مباراة "رباط الحذاء"، لم يخضع فريق هبوعيل بيت شان لعقوبة بصورة رسمية – على الرغم من أنه خضع لعقوبة قاسية مع ذلك. ففي الموسم التالي، عانى هذا الفريق من سلسلة من الهزائم المُذلة. وقد بات فريق بيت شان، الذي كان يُعرف مرةً بالفريق المحبوب الثاني في أوساط الكثيرين من جمهور كرة القدم في إسرائيل، يُصوَّر في وسائل الإعلام على أنه أسوأ مثال على جماعة تسلك سلوكًا "غير رياضي"، وذلك على الرغم من أن كرة القدم الإسرائيلية كانت قد شهدت حالات أخرى من الفساد الخطير. فقد توقفت التبرعات المالية التي كانت تُمنح للفريق، ولم يستطع هذا الفريق المحافظة على بقائه في الدوري الممتاز. وبعد أربع سنوات مضت على المباراة المذكورة، صرح أوري سويسا، الذي كان يعمل في منصب مدير المعدات في الفريق، لمراسل صحيفة "هآرتس":

لقد فقدنا روحنا. قوّضت [هذه المباراة] الفريق من داخله. انقضى كل شيء – روح فريقنا، والقوة الحقيقية التي كانت تقف وراء دافع هبوعيل بيت شان. إنك تشعر أنك مكروه وتحترق في داخلك في جميع أرجاء البلاد. . . في وقت من الأوقات، وبعد أن خضنا مباراة خارج البلاد، كان علينا أن نتخيّر بين الدعوات التي وُجهت إلينا لحضور حفلات العشاء. ولكننا تعرضنا للنبذ منذ تلك المباراة.[٤٨]

كان فريق هبوعيل بيت شان، قبل هذه المباراة المصيرية، يحافظ على موقعه في الدوري الممتاز على مدى أربعة مواسم متتالية. وبعد مضيّ ثماني سنوات على المباراة، تراجع مركز الفريق إلى الدوري الخامس وكان ثاني أدنى فريق في تسلسله. وفي شهر آب ٢٠٠٦، قررت بلدية بيت شان – الجهة الوحيدة التي واصلت دعم الفريق – حله بسبب الديون الضخمة التي تراكمت عليه. ربما لم يكن يدور في خلد مشجعي فريق بيت شان احتمال وصول الفريق إلى هذا المآل عندما شرعوا في الهتاف والتهليل لفريق بيتار في الدقيقة الستين من عمر تلك المباراة الحاسمة التي جرت في يوم ٢ أيار ١٩٩٨.

[مترجم عن الانكليزية]

الهوامش

1 Udi Trelo, "Pathuh. raglayim," *Yedioth Ahronoth* sports section (3 May 1998), 2.

2 Kobi Shem Tov, "Shevitat haneshek beHaifah. hith.ilah badakah ha-63," Maariv sports section (6 May 1998), 14.

3 Arel Segal, "Alifut," 'Iton Tel Aviv (8 May 1998), online at www.tam.co.il/8_5_98/sport3.html.

4 Yisrael Antebi in *Maariv* sports section (5 May 1998), 2.

5 Eyal Levy in Maariv sports section (3 May 1998), 9.

6 Gershon Shafi r and Yoav Peled, "Citizenship and Stratifi cation in an Ethnic Democracy," Ethnic and Racial Studies 21 (1998), 408–427.

7 Yinon Cohen and Yitzchak Haberfeld, "Second-Generation Jewish Immigrants in Israel: Have the Ethnic Gaps in Schooling and Earnings Declined?," *Ethnic and Racial Studies* 21 (1998), 507–528.

8 Gershon Shafi r and Yoav Peled, *Being Israeli: The Dynamics of Multiple Citizenship* (Cambridge: 2002), 82.

9 Ya'akov Nahon, "Ma'amad ta'asukati," in *'Edot beyisrael umikuman hah. evratit*, ed. Shmuel N. Eisenstadt, Moshe Lissak, and Ya'akov Nahon (Jerusalem: 1993), 50–75; cf. Sergio DellaPergola, 'Sephardic and Oriental' Jews in Israel and Western Countries: Migration, Social Change, and Identification," in Studies in Contemporary Jewry, vol. 22, Sephardic Jewry and Mizrahi Jews, ed. Peter Y. Medding (New York: 2007), 17–21.

10 Efraim Ben-Zadok, "Oriental Jews in Development Towns: Ethnicity, Economic Development, Budgets and Politics," in *Local Communities and the Israeli Polity: Confl ict of Values and Interests*, ed. Efraim Ben-Zadok (Albany: 1993), 91–122; Oren Yiftachel, "Social Control, Urban Planning and Ethno-class Relations: Mizrahi Jews in Israel's Development Towns," *International Journal of Urban and Regional Research* 24, no. 2 (2000), 418–438.

11 Yiftachel, "Social Control, Urban Planning and Ethno-class Relations"; report of the Ministry of the Interior and the Ministry of Construction and Housing, *Socio-economic Ranking of Local Governments in Israel* (Jerusalem: 1996), quoted in ibid., 429.

12 Sami Shalom Chetrit, *Hamaavak hamizrah. i beyisrael: 1948–2003* (Tel Aviv: 2004), 307–320.

13 Yehouda Shenhav, Hayehudim ha'aravim: leumiyut, dat, veetniyut (Tel Aviv: 2003), 17.

١٤ للاطلاع على وجهة نظر مختلفة ترى هذه المسألة من زاوية الأصول والثقافة المشابهة في أوساط المزراحيين، انظر:

Chen Bram and Harvey E. Goldberg, "Sephardic/Mizrahi/Arab-Jews: Refl ections on Critical Sociology and the Study of Middle Eastern Jewries within the Context of Israeli Society," in Medding (ed.), Sephardic Jewry and Mizrahi Jews, 227–256.

15 Chetrit, *Hamaavak hamizrah. i beyisrael*, 175.

كان العامل الرئيس الذي أسهم في فوز حزب الليكود في الانتخابات في العام ١٩٧٧ يتمثل في الدعم الذي قدمه المزراحيون له. انظر:

Yonathan Shapiro, The Road to Power: Herut Party in Israel (Albany: 1991), 164.

16 Ben-Zadok, "Oriental Jews in Development Towns," 112.

17 Ya'akov Nahon, "'Ovdim 'az.mayim," in Eisenstadt, Lissak, and Nahon (eds.), 'Edot beyisrael umikuman hah. evratit, 76–89; Eliezer Ben-Rafael and Stephen Sharot, Ethnicity, Religion and Class in Israeli Society (Cambridge: 1991), 179–185.

18 Chetrit, *Hamaavak hamizrah. i beyisrael*, 314.

١٩ المصدر السابق، ص. ٣٠٩. للتوسع في هذا الشأن، انظر:

Kimmy Caplan, "Studying Haredi Mizrahim in Israel: Trends, Achievements, and Challenges," in Medding (ed.), *Sephardic Jewry and Mizrahi Jews*, 173–177.

20 Motti Regev, "To Have a Culture of Our Own: On Israeliness and Its Variants," Ethnic and Racial Studies 23 (2000), 238.

21 Tamir Sorek, "Threatened Masculinities and Women's Exclusion in Israeli Soccer," The Scholar & Feminist On-Line (2006), 4.

22 Amir Ben-Porat, Mimish. ak leseh. orah: hakaduregel hayisreeli 1948–1999 (Sdeh Boker: 2002), 201.

23 Gadi Yatziv and Ya'akov Nahon, Meh. kar h. evrati 'al hakaduregel beyisrael (Jerusalem: 1969) (publication of the Israel Ministry of Education and Culture).

٢٤ على الرغم من وجود عدة فرق محترفة تعود ملكيتها لجهات خاصة، ولا سيما في الدوريّين الأولين، تعتمد معظم فرق كرة القدم الإسرائيلية على الدعم الذي تقدمه البلديات لها لتغطية جانب معتبر من نفقاتها. ويضاف إلى هذا الدعم المخصصات التي يرصدها مجلس رهان الرياضة (Sports Gambling Council) والتبرعات الخاصة ورعاية الشركات لهذه الفرق.

٢٥ يعرّف أندريه ماركوفيتش وستيفن هيليرمان "ثقافات الرياضة المهيمنة" على أنها تلك الثقافات التي "تهيمن على الارتباطات العاطفية السائدة في دولة ما"، بحيث تتحول إلى "ما يتنفسه الناس ويقرؤونه، ويناقشونه ويحللونه ويؤرخونه." انظر الكتاب الذي ألفه الكاتبان:

Offside: Soccer and American Exceptionalism in Sport (Princeton: 2001), 10.

٢٦ يمثل ائتلاف القوس الديموقراطي المزراحي ، الذي تأسس في العام ١٩٩٦، حركة خارج إطار البرلمان، ومعظم أعضائه من أبناء الجيل الثاني من جماعة المزراحيين.

27 Moshe Karif, Hamizrah. it: sipurah shel hakeshet hademokratit hamizrah. it vehamaavak hah. evrati beyisrael, 1995–2005 (Tel Aviv: 2005), vii.

28 Moshe Semyonov, "Occupational Mobility through Sport: The Case of Israeli Soccer,"*International Review for the Sociology of Sport* 21 (1986), 23–33.

29 R. Aryeh, "Mih.aluz. ei 1949 'ad alufei 1975," *Maariv* (18 May 1975), 34.

30 Shlomo Resnik, "Agudat hasport Betar: sport ufolitikah beh. evrah mefuleget," in Tarbut haguf beyisrael bameah ha'esrim, ed. Haim Kaufman and Hagai Harif (Jerusalem: 2002), 179.

٣١ المصدر السابق، ص. ١٧٨.

32 Arel Segal, "Alifut."

٣٣ منذ العام ١٩٩٦، خرجت البلدات العربية فرقًا سجلت النجاح في كرة القدم، حيث لعبت ثلاث فرق منها في الدوري الممتاز. وفي العام ٢٠٠٤، فاز فريق اتحاد أبناء سخنين بكأس الدولة. انظر:

Tamir Sorek, Arab Soccer in a Jewish State (Cambridge: 2007).

34 James Curtis, John Loy, and Wally Karnilowicz, "A Comparison of Suicide-Dip Effects of Major Sport Events and Civil Holidays," Sociology of Sport Journal 3 (1986), 1–14; Harry Edwards, Sociology of Sport (Homewood, Il.: 1973).

35 Allen Guttmann, *From Ritual to Record: The Nature of Modern Sports* (New York: 1978).

36 C.E. Ashworth, "Sport as Symbolic Dialog," in *The Sociology of Sport*, ed. Eric Dunning (London: 1970), 40–46.

37 Christian Bromberger, "Football as World-View and as Ritual," French Cultural Studies 6, no. 3 (1995), 293–311.

38 Eyal Levy in *Maariv* sports section (3 May 1998), 9.

٣٩ ساغي كوهين، مصدر سابق، ص. ٢-٣.

40 Amir Efrat, "Ibdu et hakavod ha'az.mi," Yedioth Ahronoth sports section (3 May 1998), 2.

41 Aviad Fohorlis in Yedioth Ahronoth sports section (3 May 1998).

42 Tal Berman interview with Eitan Tayeb, appearing on the website of Maccabi Tel Aviv's fans, http://www.ultras.co.il/one_news.asp?IDNews=843 (22 April 2003).

43 Sarah Angel, "Bayom sheyisgeru lanu et haiz. tadyon, nisrof et Bloomfi eld," 'Iton Tel Aviv (25 Oct. 2002).

44 Edward Shils, Center and Periphery—Essays in Macrosociology (Chicago: 1975.

45 Ben-Rafael and Sharot, Ethnicity, Religion and Class in Israeli Society.

46 Moshe Karif, "Bah.ayim, kemo besport," Haaretz (10 May 1998), B-2.

47 Doron Bergfroind, "Hapo'el Tel Aviv mez. apah shehahitah.dut lekaduregel takhriz 'alehah kaalufah shel 'onat 1997/8," Haaretz (6 July 2001).

48 Horesh Nitzan, "Moshik Teomim mevakesh lehazkir," Haaretz sports section (14 April 2002).